



مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

ISSN : 2352-9849 EISSN : 2602-6929

المجلد 19 العدد 01/ جوان 2026



التصوف والخدمة الاجتماعية في الجزائر
الطريقة الصوفية العلوية بمستغانم نموذجا

Sufism and Social Work in Algeria: The Alawiyya Sufi Order in
Mostaganem as a Case Study

د/ ركن شريفة²

أ.د / محمد أوسير¹

جامعة لونيبي علي البلدية 02، الجزائر

جامعة لونيبي علي البلدية 02، الجزائر

تاريخ التقييم: 2026/06/07

تاريخ الإرسال: 2026/05/07

تاريخ القبول: 2026/06/28

Abstract:

المخلص:

Our perceptions of Sufism have been shaped by diverse historical and doctrinal influences, resulting in divergent attitudes toward it. However, engaging in objective scholarly research on Sufism leads toward a different perspective—one less concerned with intellectual and ideological stances and more focused on a new pragmatic trend. This trend centers on the practical utilization of Sufism across social, educational, cultural, and economic dimensions. In light of this direction, we are prompted to explore the social role performed by Algerian Sufi orders in community service. Furthermore, this entails

تشكل تصورنا حول التصوف عبر تأثيرات تاريخية ومذهبية مختلفة مما أنتج مواقف متباينة منه، غير أن الانخراط في دراسات علمية موضوعية حول التصوف تحيلنا إلى رؤية مغايرة لا ترتبط بالموقف الفكري والإيديولوجي بقدر ما ترتبط بنزعة واقعية جديدة تتمحور حول كيفية الاستفادة من التصوف اجتماعيا وتربويا وثقافيا واقتصاديا، واعتبارا لهذه النزعة الجديدة فإننا مدعوون إلى استكشاف الدور الاجتماعي الذي تمارسه الطرق الصوفية الجزائرية في خدمة المجتمع، ومن ثم التوجه نحو تطوير هذا الدور في إطار نسق

* ركن شريفة، جامعة لونيبي علي البلدية 02. rakenecherifa@gmail.com

اجتماعي متكامل ومتفاعل يستفيد من كل المقدرات المتاحة.
العملية الاجتماعية، القيم، المشروع الاجتماعي، التصورات، النسق الاجتماعي، النسق الصوفي.

Keywords: Sufism, Social Work, Values, Social Project, Perceptions, Social System, Sufi System.

1- مقدمة:

تعتبر الحركة الصوفية في تاريخ الإسلام ثورة روحانية حقيقية أحدثت تغيرات عميقة في مسار الحضارة الإسلامية وفي مسار التعامل معه وفي سياق التعامل معه يمكن القول أنه أحد فهوم للإسلام ورؤية خلاقة له ولمظاهره ولكن يمكن القول أنه فهم جديد للإسلام ورؤية حديثة له ولمظاهره التعبدية والأخلاقية والتصورية، وقد استطاع التصوف أن يؤثر في مسار الحضارة الإسلامية وأن يتوغل في المجتمع الإسلامي ويكسب الكثير من المؤيدين والأتباع بفضل انحياز مشايخه إلى انشغالات الناس وهمومهم والدفاع عن قضاياهم، على الرغم من الملاحظات التي يمكن أن تسجل على جوهر التصوف الذي يدعو إلى الزهد والتقليل من الدنيا والعزلة وتفادي الخلطة، الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة القائمة بين التصوف والمجتمع؟ وكيف تزواج الطرق الصوفية بين قيمها وخدمة المجتمع؟

2- الحركة الصوفية في خدمة المجتمع

ينقلنا هذا الموضوع في البداية للحديث عن الانشغال بطبيعة التنشئة الاجتماعية في التربية الصوفية الإسلامية، مع اعتبار التنشئة الاجتماعية هنا مفهوما إجرائيا يقتصر على أدوات الحياة الاجتماعية الصوفية في خضم تأثرها وانبثاقها من المنهج الصوفي المثالي التصوري والأخلاقي والروحي، فالتنشئة الاجتماعية الصوفية تنطلق من نفسية السالك الصوفي أولا ومن خلال عملية التزكية بواسطة المجاهدة والمحاسبة والمراقبة وما ينتج عن هذه العمليات من حالات متعددة كالذكر والمحبة والخوف والشوق والرجاء والخلو وغيرها، وبعد الإعداد النفسي تنتقل التربية القيمية الصوفية إلى الإعداد الأخلاقي كما تم الإشارة إليه من قبل ل يتم ترويض السلوك بمنظومة أخلاقية متوازنة، وطبعاً كل هذا يمهّد السالك المريد للحياة الاجتماعية إما بالتفاعل وبناء علاقات متنوعة وتكيف اجتماعي وثقافي وسياسي أو هجرة وعزلة وانطواء وغيرها، وفي الحقيقة حتى نستطيع أن نعرف كيف يوجه التصوف الإسلامي القيم الاجتماعية لا بد في الأساس أن نستجلي رؤية التصوف نفسه للحياة الاجتماعية وطبيعتها وكيفية التعامل معها بحيث لا يجب الاكتفاء بتحليل هذه القيم الاجتماعية وفق منظورنا الخاص، خاصة وأن القيم الاجتماعية وكما سنرى لاحقاً هي أكثر القيم التي تثير الاختلاف والتباين والتنوع بين منظري التصوف والطرق الصوفية الإسلامية، وعموماً فإن جوهر التصوف القائم على القفرغ لعبادة والحياة الروحية و شغل الوقت بالتبتل والتنقل في المقامات الصوفية وما يقتضيه من خلوة وعزلة وطول تأمل وتفكير، هذا الجوهر يفترض من الناحية النظرية أن التصوف الإسلامي لا يعتني بممارسة الحياة الاجتماعية في إطار البناء الاجتماعي العام، وإنما يختزل هذه الممارسة في إطار النسق الصوفي أو في بنية صغرى داخل المجتمع

وهي الطريقة الصوفية، أي أن ممارسة الحياة الاجتماعية قائمة على التركيز الذاتي داخل الطريقة الصوفية نفسها، بحيث تكون حدود العلاقات والتفاعلات والتبادلات والتجاذبات الفكرية والعاطفية والاجتماعية محصورة في نطاق هذه المؤسسة أو هذا التنظيم الصوفي ولا تتعداها إلى كل المجتمع إلا في إطار إشباع الحاجيات الأساسية للنسق الصوفي، غير أن النظرة الإميريقية التاريخية والواقعية تشير إلى محدودية هذا التأويل فالتصوف الإسلامي وعلى مدار تاريخه ارتبط ارتباطا عضويا وثيقا بتاريخ الحضارة الإسلامية في السياسة والحروب والاقتصاد والعلوم والثقافة، مما يعني أن الممارسة الاجتماعية لم تكن يوما حبيسة النسق الصوفي وإنما تعدته للبناء الاجتماعي العام، فانتشار التصوف وتوسع رقعته وبقائه وتطوره جاء نتاجا لتوغل الاجتماعي ولفاعلية قيمه في تنظيم المجتمع وضمان سيرورة تاريخية منضبطة و متوازنة له، لأن التربية الصوفية تتعامل مع المجتمع من خلال قيمتين أساسيتين هما العزلة والتضامن بحيث يظهر من البداية أنهما متناقضتين إلا أنهما متكاملتين وتسخران لهدف واحد هو خدمة المجتمع، ارتبط التصوف الإسلامي بالعزلة وقلة الاختلاط والابتعاد عن الناس حفاظا على وتيرة (الرياضة الروحية) وزيادة في الارتباط الروحي بالله، بحيث يظهر من الوهلة الأولى أن العزلة تعني رفض التفاعل الاجتماعي مع الآخرين والخوف منهم وبناء جدار من الريبة والحذر بسبب الاختلاف في كيفية التعامل مع مفاهيم الدين والالتزام والعبادة، مما يعني أن السلوك الاجتماعي للسالك الصوفي لا يتحدد ولا ينضبط وفقا لآليات الضبط الاجتماعي المتبناة في النظام الاجتماعي الثقافي السائد وإنما ينضبط وفقا لآليات الضبط الاجتماعي المحددة في النظام المشكل للنسق الصوفي، وعليه فإن التصوف يعطي الاعتزال مفهوما آخر من حيث الغائبة، إذ يجب على السالك والمريد أن يعتزل المجتمع كي يسلم المجمع من شره وأذيته المحتملة فالعزلة لا تعني استصغار المجتمع، وإنما هي استصغار السالك لنفسه التي ليس لها مزية على الآخرين (ياسين، 2005)، وهكذا نسجل أن العزلة الصوفية ليست مطلبا فرديا روحيا فقط، وإنما هي في المقابل قيمة اجتماعية أساسية تهدف في الكثير من جوانبها إلى صناعة سلوك اجتماعي متميز يساعد على تطور المجتمع، باعتبار فيه ديناميكية فعالة وإيجابية.

وأما الأخوة والتضامن الاجتماعي، فهي أساس علاقة الصوفي مع غيره من عامة الناس، وهي تتشكل في الغالب من تلك النزعة الصوفية الروحانية اللينة التي تعتمد على الرحمة والعطف والمودة في التواصل مع الخلق نتاجا لتراكمات التربية الروحية التي حتما ستعكس على السلوك العام، لذلك نجد أن التراث الصوفي يركز كثيرا على هذا المعلم التربوي حيث يقول الإمام المحاسبي: "وابذل النصيحة لله وللمؤمنين، واعلم أنه من نصحك فقد أحبك، ومن داهنك فقد غشك، ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك" (الحارث بن حسن، د.س).

ومن معاني التضامن الصوفي إغاثة اللهفان ومساعدة المضطر وإجابة المحتاج وإيثار أهل الفقر على النفس وهذا الذي أشار إليه عبد القادر الجيلاني حين قال: "المؤمن إن كان عنده طعام يؤثر به الفقير ويعلم أنه في الآخرة يطعم خيرا منه، فالسالك الصوفي هو في خدمة الناس والسعي الدائم في قضاء حوائجهم متأسيا في ذلك بنبية الكريم الذي كان أعدل الناس وأعف الناس وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس وألين الناس للناس وأحسنهم عشرة" (خالد، 2005)، وجاء في الطبقات الصغرى للشعراني عن الشيخ زكريا الأنصاري أنه كان "كثير الصدقة سرا وجهرا وما رأيت في العلماء الصالحين أكثر صدقة منه و كان له جماعة يتصدق عليهم" (خالد، 2002).

في الجزائر جعلت الطرق الصوفية من الزوايا والمدارس العلمية والقرآنية مراكز مهمة للتضامن الاجتماعي ومساعدة مختلف الفئات الاجتماعية المحتاجة والمحرومة عبر كل مراحل التاريخ الاجتماعي للحضارة العربية الإسلامية، وكانت الزوايا والأربطة ملجأ يأوي إليها الشيوخ والنساء والأرامل واليتامى حيث يتولى المتصوفة توزيع الصدقات عليهم وكسوتهم وإطعامهم، ويتجلى هذا التوجه أكثر مع حرقه المقاومة الشعبية التي قادها كثير من شيوخ الزوايا ورجال التصوف على غرار الأمير عبد القادر وبوعمامة والشيخ بوزيان اللذين صرخوا بجهودهم وقوتهم ونفوذهم خدمة للمسلمين وذودا عن أراضيهم.

3. الطريقة الصوفية العلوية

وفي الجزائر اتخذت الطرق الصوفية من الزوايا والمدارس، كما أنها من أحدث الطرق الصوفية ظهورا، إلا أنها استطاعت أن تفرض وجودها وتحتل لنفسها مكانا متميزا ومتقدما في ظل التجربة الصوفية الجزائرية، ويبدو في البداية أن ظهورها الذي تزامن مع الوجود الإستعماري الفرنسي في الجزائر قد كانت له انعكاسات سلبية عليها، إذ كثيرا ما يصفها المناوئين لها أنها كانت أداة دينية وثقافية هدامة استخدمتها فرنسا الكولونيالية لتميع الشعب الجزائري وسجنه في غياهب الخرافة والدروشة ومحاولة يائسة منها لتخريب عقيدة الجزائريين الصحيحة وبث العقائد الفاسدة في قلوبهم كعقيدة الحلول ووحدة الوجود والتجروء على الذات الإلهية وذات الأنبياء والتعظيم والتقدّيس لشيوخ التصوف وأوليائهم من خلال الكثير من النصوص الصوفية المشبوهة والمغشوشة التي تقرأ النصوص الشرعية بطريقة خاطئة وتمنعها تأويلات مغلوطة، ونظم متون وأوراد يلزم بها أتباعها على حساب الالتزام بالنصوص القرآنية والسنية الشريفة، يضاف إلى ذلك الكثير من المعتقدات الشريكية والبدعية والقبورية التي حاربتها كثيرا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت في مواجهة مباشرة مع الطريقة الصوفية العلوية في الكثير من المواقف والمناسبات التاريخية الكبرى، خاصة وأن المصادر التاريخية تؤكد أن الشيخ المؤسس لهذه الطريقة كان أميا قليل الحفظ للقرآن الكريم كما يشير هو نفسه لذلك فكيف استطاع أن يؤسس طريقة صوفية تعليمية وتربوية، إلا أن هذه المعارضة التي جوبهت بها الطريقة الصوفية العلوية لم تمنعها مطلقا من الانتشار والتوسع الأفقي والامتداد متجاوزة في ذلك حدود الجزائر لتبلغ الأفاق مشرقا ومغربا وتفرض رؤيتها وتصوراتها ومنهجها الديني والتربوي على الملايين من الناس في مختلف قارات المعمورة.

ظهرت الطريقة الصوفية العلوية من رحم الطريقة الصوفية الدرقاوية حيث كان الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي تلميذا ومريدا للشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي شيخ الطريقة الدرقاوية في مدينة مستغانم ويقص علينا الشيخ العلوي قصة طويلة لكيفية ارتباطه بشيخه البوزيدي في متن كتبه بنفسه وأدرجه ابنه الروحي وتلميذه الحاج عدة بن تونس في كتابه الروضة السنية في المآثر العلوية، وسنعرض فقرات من هذا المتن حتى نتعرف على المسار التاريخي والتربوي والصوفي لهذه الطريقة كما جاء على لسان مؤسسها تحريا للموضوعية والدقة التاريخية، يقول الشيخ العلوي:

"أما صناعة الكتابة فلم نتعاطاها ولا دخلت الكتاب ولا يوما واحدا إلا ما استقتدته من أبي رحمة الله عليه عندما كان يلقي علي بعض الدروس القرآنية بدارنا، وإلى الآن لم نحصل على القدر الكافي منها، وانتهى بي الحفظ في كتاب الله إلى سورة الرحمان فبقي اللوح على تلك السورة... فترددت بين عدة مهن وفي الأخير لازمت صناعة الخرازة، فمهرت فيها وتوسع الحال من أجلها، فبقيت فيها سنوات إلى أن انتقلت إلى التجارة... أما ملازمتي للدروس فلم

تكن ملازمة تعتبر بما أنها كانت تقع في خلال الاشتغال وأوقات متفرقة ولولا القرية ومملكة الفهم ما كنت أتحصل منها على شيء... إلا أن اجتمعت بالأستاذ سيدي محمد البوزيدي رضوان الله عليه فقال لي ذات يوم و هو عندنا بديكاننا : إنه بلغني أنك تأخذ الحية ولا تخشى من لسعها فقلت نعم هكذا كنت فقال لي: هل يمكنك الآن أن تأتينا بواحدة فتأخذها بحضورنا فقلت له متيسر، وذهبت من حيني إلى خارج البلد و لم أجد إلا واحدة صغيرة، وأخذت أقلب فيها كما هي عادتي، وهو ينظر رضي الله عنه إلى ذلك ثم قال لي: هل تستطيع أن تأخذ غير هاته الحية مما هو أكبر جرما، فقلت له إنها عندي على السواء فقال لي: ها أنا أدلك على واحدة أكبر وأشد منها بأسا فإن مسكتها فأنت الحكيم فقلت له فأين هي فقال لي: هي نفسك التي بين جنبيك... إلى أن وفق رفيقي ذات يوم وقال لي: كنت أعرف أحد المشايخ يدعى سيدي حمو الشيخ شريف النسب كان مهاجرا بناحية المغرب وعندما عاد تعلقت به جماعة، وعند ذاك عقدنا العزم على الاجتماع به، وبعد أيام ونحن في تجارتنا وإذ برفيقي يقول لي: ها هو الشيخ مارا على الطريق ثم قام إليه فدعاه إلى الجلوس معنا فجلس ثم دار الكلام بيننا ولما أراد الخروج طلب منه رفيقي أن لا يقطع زيارتنا، فلما انصرف سألت صديقي عما وجده من حديثه فقال : إن كلامه أعلى مما في الكتب، وهكذا كان يزورنا في تلك المدة وخلال تلك المدة أخذ ذات يوم يحقق النظر في ثم قال إن الولد صالح للتربية وفي مرة أخرى وجد في يدي ورقة فيما يتعلق بمدح الشيخ سيدي محمد بن عيسى قال لي : إن دامت بنا الحياة تكون إن شاء الله من أشباه الشيخ سيدي محمد بن عيسى أو تكون في مقامه، ولم تمر علي مدة حتى تعلقت بنسبته واتخذته قدوة في طريق الله، وبعد أن لقتني الأوراد صباحا ومساء أوصاني أن لا أحدث بذلك، فلم يمر علينا نحو الأسبوع حتى دعاني وأخذ يتكلم معي في الاسم الأعظم وكيفية الاشتغال به ثم أمرني بالانقطاع و لم تكن له خلوة مخصوصة الذكر وكنت مع ذلك ألزم بعض الدروس العلمية فسألني ذات يوم بأي فن يتعلق هذا الدرس الذي أراك تحافظ عليه فقلت : له بفن التوحيد فقال : كان سيدي فلان يسميه بفن التوحيد، ثم قال إن الأولى بك أن تشغل الآن بتصفية باطنك حتى تشرق فيه أنوار ربك فتعرف معنى التوحيد، والأولى لك أن تترك سائر الدروس حتى تفرغ من عملك الحاضر ... وهكذا أخذت تتوسع عندي دائرة الفهم حتى كنت إذا قرأ القارئ شيئا من كتاب الله تسبق مشاعري إلى فهم معانيه بأغرب كيفية في زمن التلاوة ولما تمكن ذلك مني و تحكم الطبيعيات خشيت أن أدخل تحت تصرف ذلك الوارد الملازم فأخذت في كتابة ما يمليه الضمير في كتاب الله فأخرجه في صبغة غير مألوفة بما أني كنت تحت تصرف ذلك الوارد ... ثم قال لي رضي الله عنه ينبغي لك الآن أن تحدث وترشد الناس لهذه الطريق حيث أنك على يقين من أمرك، فقلت له و هل ترى يسمعون لي فقال إنك تكون مثل الأسد مهما وضعت يدك على شيء إلا و أخذته، وكان الأمر كما ذكر... ثم دمننا على صحبتة خمسة عشر من السنين، ثم أنه قبل وفاة الأستاذ ألقى الله في قلبي حب الهجرة فأخذت أنسبب في الانتقال لجهة الشرق، وعندما كنت على وشك السفر إذ الأستاذ اشتد به المرض و ظهرت عليه بشائر الرحيل فلم تسمح نفسي بمفارقتة وهو على تلك الحالة، وبعد وفاة الشيخ كان رجال الطريق يتفاوضون فيمن يقوم بشؤون الفقراء... فاشتدت عزيمة الفقراء على أن يلزمني المقام بين أظهرهم والاشتغال بوظيفة التذكير... ثم وقعت البيعة من جميعهم قولاً و هكذا استمرت على ذلك من أكابر الفقراء أما المبتدئون فكانت تؤخذ منهم بعد ذلك بالمصافحة، أما من كان من أتباع الطائفة خارجا عن البلاد فإني ما كنت أتأخذ منهم و لا ألزمتهم بالرجوع إلينا، حتى أخذت بعد ذلك تتوارد علينا طوائف الفقراء مختارين معترفين... "(عبد القادر وآخرون، د.س)

ذلك أن التصوف قائم على الذوق والكشف واعتقاد التأويلات الباطنية للنصوص، لذلك لا يجري عليه في عرف المتصوفة أحكام ظاهر الشرع عموماً، كما يظهر انغماس الطريقة في الغنوصية والمشاهدات و إنزال الفرد الصوفي منازل الخوارق واعتبارها محطات أساسية في إدراك الحقيقة والوصول إلا الله في حين أنها لم ترد في السنة ولم تكن منهجاً تربوياً نبوياً ولم يمارسه الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته حتى في أحلك الظروف ولا حتى في بدايات الدعوة بمكة المكرمة، مما يعطي جانباً من الشرعية للانتقادات التي وجهت لهذه الطريقة في تجاوزها للكثير من المحظورات العقدية خاصة و أنها تعتبر حسب النص علم التوحيد (العقيدة) علم التحويل وهي نظرة تهكمية واضحة تفقد هذا العلم جوهره في غياب استعانتها بالتصوف، كما يظهر هذا النص أن الطريقة الصوفية العلوية لا تهتم كثيراً بالتعليم كوسيلة أساسية لنقل المعرفة وصناعتها وإنما تأخر التعليم خاصة الشرعي منه إلى مراتب متأخرة، فالمرید العلوي عليه أن ينغمس في الطريقة وأن يسلم نفسه للشيخ ليعيد صياغته وصناعته من جديد وفقاً لمقتضيات الطريق، فالمدارك لا تتفتح والعقل لا يفهم والروح لا تستوعب المعرفة الشرعية ما لم تمارس التصوف وفقاً لما يريده الشيخ دون نقد أو شك أو ريب، والدليل على جاهزية المرید لإدراك الفهم والمقاصد من العلوم الشرعية هو سباحته في عالم الإطلاقات والحلول في الحضرة الإلهية من خلال التفرغ للذكر والتعلق بالاسم المفرد الذي يبلغه ويفسر الشيخ فقط، وعلى هذا كان الشيخ العلوي يحافظ على الورد الصوفي الذي ألفه وألزم به أتباع الطريقة بعد صلاتي الصبح والمغرب وجاء هذا الورد على الشكل التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ سورة الواقعة، ثم يقرأ الصوفي العلوي : سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ثم يدعو بما يشاء، ثم يقرأ : اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات أقرب إليك بكل صلاة صلت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية، ثلاثة مرات، ثم يقرأ : سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين، ثم يقرأ التعوذ و البسملة و قوله تعالى: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم، ثم يستغفر الله تسعة وتسعون مرة ثم يقرأ استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه مرة واحدة ليختم المائة، ثم يقرأ قول الله تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، ثم يقرأ اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسعون مرة، ثم يقرأ اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مرة واحدة ليختم المائة، ثم يقرأ قول الله تعالى : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تسعة وتسعون مرة، ثم يقرأ لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ليختم المائة، ثم يقرأ : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، الحمد لله والشكر لله مائة مرة ثم يختم بقوله : الصلاة والسلام عليك يا سيدنا حبيب الله الصلاة والسلام عليك يا سيدنا نبي الله الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ألف صلاة ألف ألف سلام صلى الله عليك وعلى آل بيتك وأصحابك يا أكرم الخلق عند الله، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وبعد وفاة الشيخ المؤسس أحمد بن مصطفى العلوي ولي على الطريقة تلميذه و ابنه الروحي عدة بن تونس ليكون الخليفة الأول له بعد أن قدم إشارات سابقة لذلك قبل وفاته، فلما أحس الشيخ المؤسس بدنو أجله قربته منه وكفله كفالة شرعية و أسند إليه بعض المهام منها تمثيله في بعض المناسبات، ثم زوجه ببنت أخته " خيرة " بن عليوة التي كان يكفلها، ثم كلفه بعد ذلك بتسيير الطريقة و جعل منه المتصرف الوحيد فيها، و بعد وفاته بايعه أتباع الطريقة و مريديها ومقدميها بكل فروعها في الجزائر وخارجها يوماً بعد حادثه الوفاة، ومن أهم إنجازاته المشهودة له إعادة بناء الطريقة الصوفية العلوية وتوحيد صفوفها بعد الخلخلة التي عرفتها ومحاولات الانشقاق التي كادت أن تعصف بها كمحاولة انشقاق مقدمي الطريقة في الريف المغربي عام 1950، ثم إعادة جريدة لسان الدين عام 1937، وفي سنة 1939 أسس جمعية التذكير العلوية والتي فتحت بواسطتها عدة مدارس تعليمية وتربوية، ويعد الإنجاز المميز للشيخ عدة بن تونس وغير المسبوق هو تعليم المنحرفين القصر بداية من سنة 1938 برخصة من المصالح الإدارية الفرنسية وبعد طلب منه أخذت الموافقة عليه مدة طويلة، وفي عام 1946 أسس مجلة المرشد المزدوجة اللغة والتي توقفت عام 1952، وفي سنة 1948 أسس جمعية الأحباب وكانت بمثابة مجال تحاوري بين مختلف الديانات والأفكار، و بعد هذه الإنجازات الكبيرة والتحركات الحثيثة توفي الشيخ عدة بن تونس في 4 جويلية عام 1952 عن عمر يناهز الأربعة والخمسون سنة. (عدة، د.س)

وقد خلف وراءه تراثاً كبيراً منه كتابه الدرة البهية في الأوراد العلوية، وفيه حدد الأوراد الصوفية العلوية المأخوذة عن الشيخ البوزيدي، وكتاب وقاية الذاكرين من غواية الغافلين، وكتاب فك العقال من تصرف الأفعال وهو كتاب في فنون اللغة العربية، إضافة إلى كتاب مجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير وهو مجموعة من المقالات كان قد كتبها في مجلة المرشد.

ولما كان من عرف الطرق الصوفية أن لا يعين الشيخ خليفته فإنه بعد وفاة الشيخ عدة بن تونس أجمع أتباع الطريقة العلوية على مبايعة ابنه المهدي بن تونس على رأس الطريقة، وهو ابنه البكر المولود بتاريخ 26 فيفري 1928 و كان حدثاً مميّزاً وجليلاً لدى الشيخ المؤسس أحمد بن مصطفى العلوي، فنظم احتفالية كبيرة بهذه المناسبة، ثم أخذ في تربيته وتعليمه وتوجيهه على مدار الست سنوات التي عاشها بعد ولادته، حفظ القرآن الكريم وهو بن إحدى عشرة سنة، ومكافأة له على ذلك اصطحابه معه والده إلى الحج عام 1939، تولى شؤون الطريقة وأوصلها إلى العالمية، تعرض لمضايقات كبيرة من طرف النظام السياسي بعد الاستقلال بعد رفضه النهج الاشتراكي فاعتقل عام 1970 ورحل إلى ولاية جيجل و تم حجز جميع ممتلكاته الزاوية، من إنجازاته تكوين جمعية الشبيبة العلوية التي جعل من أهدافها التربية الروحية، بناء المسجد والمركز الطبي في حي تجديت بمدينة مستغانم، الاتصال مع منتسبي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإصلاح ذات البين وإزالة الخلاف مع الزوايا، توفي الشيخ المهدي بن تونس في 24 جويلية 1975 عن عمر يناهز السبعة والأربعين سنة. ولم يجد أتباع الطريقة العلوية أفضل من ابنه خالد بن تونس لمبايعته على رأس الطريقة العلوية ليصبح الخليفة الثالث للشيخ المؤسس لحد الآن، ولد الشيخ خالد بن تونس الخليفة الحالي للطريقة بتاريخ 19 نوفمبر 1949 بحي تجديت الحي العربي بمدينة مستغانم، من أم مغربية هي " لا لا أمينة" التفريستية و هي أخت أحمد رضوان التفريستي نائب شيخ الطريقة العلوية بالمغرب، وضعه جده الشيخ عدة بن تونس بعد ثلاثة أيام من ولادته عند امرأة صوفية متجردة بالزاوية العلوية لتربيته و أبعد عنه جميع أقربائه فنشأ في الزاوية كأنه يتيم

تشتاق إليه قلوب عائلته و هو مصون في الزاوية، وعين على رأس الطريقة قبل دفن والده بعد رؤية رآها أحد أتباع الطريقة وانتشر صداها بسرعة كبيرة بين المريدين وسط اندهاشه وحيرته حتى أنه قال لهم هل فقدتم صوابكم فلا يجب أن أحل محل الشيخ لكوني ولده (محمد، 2005)، من أهم إنجازاته إعادة الطريقة العلوية إلى النشاط بعد المضايقات وتوسيع نشاطها وفتح فروع جديدة لها وتجديد الفروع والزوايا القديمة التابعة لها داخل القطر الجزائري، إنشاء دار جنة العريف بمستغانم وهي عبارة عن حاضرة ثقافية ومكتبية تكتنز تراث الطريقة ومعقل تربوي ودعوي لها قل مثيله لدى الطرق الصوفية الجزائرية الأخرى، تنظيم الكثير من الملتقيات والحوارات العلمية والفكرية الصوفية والعلمية على شاکلة الاحتفال بمأوية الطريقة عام 2009، التأسيس لثقافة الحوار بين الديانات والحضارات والدعوة الحثيثة لثقافة التعايش والتسامح، من مؤلفاته كتاب التصوف قلب الإسلام، وكتاب التصوف الإرث المشترك.

4. الدراسة الميدانية

4-1- التعريف بمجال الدراسة: هي دراسة ميدانية أجريت على مئة من منتسبي الطريقة الصوفية العلوية بمستغانم حول التجربة الصوفية الجزائرية والتقاطع مع المجتمع، انطلقت الدراسة من تساؤل أساسي مفاده ما هي طبيعة التقاطعات القائمة بين الطرق الصوفية والمجتمع الجزائري.

ومن أجل الإجابة على هذا التساؤل أجرينا دراسة ميدانية ببعض الطرق الصوفية الجزائرية على غرار الطريقة الصوفية العلوية بمستغانم والطريقة التيجانية بتماسين ولاية ورقلة والطريقة الصوفية التيجانية بقمار ولاية الوادي والطريقة البوشيخية بمتليلي ولاية غرداية.

وقد استخدمنا في الدراسة تقنية الاستمارة والملاحظة الميدانية، وقد اشتملت الاستمارة على 29 سؤالاً موجهة لمنتسبي الطريقة الذين لا يقل انتسابهم للطريقة عن خمسة سنوات، أما الملاحظة الميدانية فقد تمت على مدار سنتين من خلال ملاحظة الممارسة الصوفية في مقر الطريقة وبعض النشاطات الثقافية والاجتماعية.

وسنستعرض في هذا المقال نماذج من نتائج الدراسة التي أجريت بالطريقة الصوفية العلوية بمستغانم عبر تقنية الاستمارة بما يتناسب مع طبيعة المحور الذي اخترنا الانشغال به.

الجدول رقم 01 : تصور أفراد العينة لحقيقة التصوف

تصور حقيقة التصوف	العدد	النسب
طقوس روحية	34	34%
ممارسة دينية فردية	4	4%
سلوك اجتماعي واقعي	17	17%
تقليد ديني شعبي	29	29%
مشروع اجتماعي متكامل	10	10%

غير ذلك	6	6%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بتصوير أفراد العينة لحقيقة التصوف الإسلامي وكيف ينظرون إليه وكيف يفسرونه وعلى أي أساس يتعاملون معه أن أغلب أفراد العينة يتصورون بأن التصوف هو طقوس روحية تحتل بنسبة 34%، ويليه في المرتبة الثانية التصور القائل بأن التصوف تقليد ديني شعبي بنسبة 29%، ثم يليه في المرتبة الثالثة التصور القائل بأن التصوف سلوك اجتماعي واقعي بنسبة 17%، ويليه في المرتبة الرابعة التصور القائل بأن التصوف هو مشروع اجتماعي متكامل بنسبة 10%، ويليه في المرتبة الخامسة التصور القائل بأن التصوف له مفاهيم أخرى غير مقترحة في الاستمارة وبنسبة 6%، ويليه في المرتبة السادسة والأخيرة التصور القائل بأن التصوف ممارسة دينية فردية وبنسبة 4%. ونستطيع أن نستنتج من خلال هذه النسب أن اتجاه أفراد العينة المدروسة يتجه نحو عدم وجود قبول اجتماعي نحو تحويل القيم الصوفية إلى مشروع اجتماعي متكامل ومتناسق يمكن أن يتبناه المجتمع الجزائري بغرض استخدامه والاستفادة من مزاياه سلوكيا وتربويا، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى طبيعة الخطاب الصوفي السائد في الطريقة الذي في يعتبر الغالب التصوف نشاطا فرديا ذاتيا يتمظهر في ممارسات روحية خالصة تهدف إلى صناعة بنية نفسية متألفة روحيا تقع فيما يمكن أن نسميه "الغيوبة الروحية" التي تعزل صاحبها عن قضايا الحياة الاجتماعية المعقدة والمركبة المفروضة على المجتمع قصرا بسبب طبيعة الحياة العصرية المتسارعة، لذلك يؤكد أغلب أفراد العينة أن التصوف كما يرونه و كما يعتقدونه في الغالب ممارسات روحية تعمل على تركية النفس الفردية أكثر مما تعمل على تنظيم الحياة الاجتماعية و تأطيرها الأمر الذي لا يساعد المجتمع الجزائري على تبني القيم الصوفية وضمها إلى بنيته القيمية من جهة ويمنع التصوف من تقديم التلاحم أكثر مع المجتمع والمساهمة في خدمته من جهة أخرى.

الجدول رقم 02: أهم القيم الصوفية المعروفة لدى أفراد العينة

نوعية القيم	القيم	العدد	النسبة
القيم الروحية	الذكر الصوفي	22	22%
	الحب الصوفي	15	15%
	الخوف الصوفي	10	10%
	الرجاء الصوفي	00	00%
	التوكل	10	10%
المجموع		57	57%
القيم الأخلاقية	الزهد الصوفي	23	23%
	الصبر الصوفي	00	00%

00%	00	الصدق الصوفي	
23%	23		المجموع
00%	00	العمل الصوفي	القيم الصوفية
10%	10	الفقر الصوفي	
10%	10	العزلة الصوفية	
00%	00	الأخوة والتضامن	
20%	20		المجموع
100%	100		المجموع العام

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بأهم القيم الصوفية المعروفة من طرف أفراد العينة أن هذه الأخيرة تتعرف أكثر على القيم الصوفية الروحية وبنسبة 57 %، ثم يليها في المرتبة الثانية القيم الصوفية الأخلاقية وبنسبة 23 %، ويليها في المرتبة الثالثة والأخيرة القيم الصوفية الاجتماعية وبنسبة 20 %.

وعليه نستنتج من خلال الجدول أن مريدي الطريقة الصوفية العلوية بمستغانم يميلون أكثر إلى التعامل مع الجانب الروحاني من التصوف من خلال انشغالهم الكبير بقيم التصوف الروحية وقلة اهتمامهم بقيمه الاجتماعية، مما يعكس هيمنة النمط التربوي والتعليمي الكلاسيكي الذي كثيرا ما يدرج التصوف ضمن قوالب غيبية تتعدى المعقول والمحسوس وتتجاوز العلاقة الطبيعية المفترضة بين الفرد المسلم والإسلام إلى بناء علاقة تعتمد على الطوباوية والخوارق الإعجازية التي تحقق المستحيل وتغطي العجز وتشبع الحاجات الاستعجالية والطارئة والتي لا تتحقق إلا ببركة الروح الصوفية الاستثنائية شديدة الوصال مع الذات الإلهية بفضل مداومة الذكر وتجلي النفس وصفائها بعد ممارستها للحب الإلهي وتذوقها لحقيقة الخوف الصوفي الذي يورثها الكثير من الكرامات والمكاشفات بعيدا عن الواقع وتفاصيل الحياة الاجتماعية وتناقضاتها، ومما يؤكد هذا المعنى وهذا التوجه هو أن الزهد الصوفي كقيمة صوفية أخلاقية تشكل أهمية كبيرة لدى المريدين بما يعني أن الزهد من تجليات الصفاء والنقاء والطهر والتجرد من الدنس الدنيوي الذي يطبع مجمل الحياة الاجتماعية، وهذا يشير إلى تكريس الرؤية التقليدية في التعامل مع التصوف فحتى القيم الأخلاقية تتعامل معها الطريقة العلوية من قبيل التصنيف الغيبي الممزوج بالخرافي والأسطوري المستقطب للبركة والفتوحات الربانية دون وجود أي خلفية تشير إلى وعيها بالأبعاد الاجتماعية الواسعة التي تحملها التجربة الصوفية .

الجدول رقم 03 : قدرة الطريقة الصوفية على حل المشاكل الاجتماعية و الأسرية

القدرة على حل المشاكل في	العدد	النسب
قدرة كاملة	13	13%
قدرة نسبية	25	25%
الشراكة مع مؤسسات أخرى	19	19%
غير قادرة	09	09%

قدرة الشيخ	34	34%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال هذا الجدول الذي بين أيدينا و المتعلق بقدرة الطريقة الصوفية في حل المشكلات الاجتماعية أن أغلب أفراد العينة و المقدره نسبتهم 34 % أن هذه القدرة خاصة بقدرة الشيخ و حالة الكاريزما القوية لديه، ويليهم في المرتبة الثانية الذين يتصورون بوجود قدرة نسبية للطريقة الصوفية في حل المشكلات الاجتماعية و بنسبة و 25 % و لا يوجد 13% من أفراد العينة بوجود قدرة كاملة للطريقة الصوفية في حل المشكلات الاجتماعية، كما أن 19 % منهم يتصورون ان الطريقة الصوفية لا تساهم في حل المشكلات الاجتماعية إلا بالشراكة مع مؤسسات اجتماعية أخرى، و أخيرا نلاحظ أن 09 % ممن يتصورون بأن الطريقة الصوفية ليس لها أي قدرة للمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية.

و عليه نستنتج من خلال النسب السابقة الذكر أن الطريقة الصوفية تحتل مرتبة متأخرة ومتدنية في الاعتماد عليها في حل وفض المشاكل الاجتماعية الأسرية المختلفة، بحيث مازالت الأسرة الجزائرية يعتمد على طرق وكيفيات ومؤسسات اجتماعية أخرى.

ومنه نستنتج أن منتسبي الطريقة الصوفية العلوية لا يعتبرون الطريقة الصوفية كمؤسسة دينية صرفة بما تحمله من رصيد قيمي واجتماعي وتاريخي ذات قدرة فاعلة للمساهمة في مساعدة المجتمع على مشكلاته وفض مختلف النزاعات الحاصلة فيه، و في المقابل فإن الشيخ بما يحمله من رمزية و نفوذ و قدرة و "كرامات و خوارق" ينوب عنها في ذلك، مما يعني الاستمرار في إعادة إنتاج الرؤية الاجتماعية الكلاسيكية الشعبية التي تحصر التصوف في المخرجات الروحية والممارسة الفردية الذاتية المستقلة عن الذوات الاجتماعية الأخرى سواء أكانت جماعات او مؤسسات اجتماعية أو أفراد، وما يعزز هذا التحليل هو أن التصور الشائع لدى أفراد العينة يعتبر أن التصوف طقوسا روحية، كما أن أغلب القيم الصوفية المعروفة لدى العينة هي القيم الروحية وذلك طبعا على حساب القيم الأخلاقية والاجتماعية كل هذا ينتج معرفة اختزالية عن التصوف تختصره في الممارسات التعبدية الروحية والطقوسية وتعزله أكثر عن مجريات الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها وتحوله إلى تجربة فردية انزوائية، وهذا يكاد يتنافى كليا مع تاريخ كبريات الطرق الصوفية في الجزائر التي اشتهرت بمساهماتها في فك النزاعات الأسرية الخارجية و الصراعات الدائرة بين مختلف الأسر حول الأرض أو الشرف وغيرها في حين أنها تفشل في فرض نفسها كقوة فعالة في حل المشاكل الداخلية للأسرة الواحدة، الأمر الذي يعيق قدرتها على إقناع الأسرة الجزائرية قصد تبني قيمها وتطبيقها في حياتها اليومية بجميع مظاهرها.

الجدول رقم 04 : قدرة قيمة الأخوة والتضامن الصوفيتين على زيادة تماسك المجتمع.

زيادة تماسك المجتمع	العدد	النسب
نعم	50	50%
لا	50	50%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بقدرة قيمة الأخوة والتضامن الصوفيتين في زيادة تماسك الأسرة المجتمع تساوي من يثبتون هذه القدرة ومن ينفونها أي بنسبة 50% لكل منهما.

وعليه نستنتج من خلال المعطيات السابقة الذكر أن منتسبي الطريقة العلوية لا يؤمنون كثيرا بقدرة قيمة التضامن والأخوة الصوفيتين في تحقيق المزيد من التماسك والاستقرار في المجتمع، معتبرين أن هذه القيمة هي قيمة تصويرية ذوقية غير قابلة للتعميم إلا بعد المرور على الكثير من الممارسات والالتزامات الصوفية المبرمجة والمخطط لها مسبقا الأمر الذي يصعب على المجتمع برمته الولوج فيه نظرا لصعوبته واستهلاكه لوقته ومجهوده بما يعطل وظائفه الاجتماعية الكثيرة والمتنوعة، كما أنهم يتصورون أن هذه القيمة لا تتناسق مع شبكة العلاقات والتفاعلات والوظائف الأسرية والاجتماعية والمهنية، فالتضامن والإخوة الصوفية لا تستطيع أن تتجاوز كل دوائر صراع والتنافس والمشكلات والتقلبات والتغيرات والتحديات المفروضة على المجتمع من خلال ضغوطات وسائل الإعلام وظروف الواقع الاقتصادي وغيرها.

كما نستنتج كذلك أن منتسبي الطريقة الصوفية العلوية يتعاملون مع قيمة التضامن والأخوة الصوفية على أنها قيمة روحية انطلاقا من أن التصور العام يحصر التصوف على أنه طوقس روحية محضة، وبالتالي كل ما يترتب عنه فهو روحي وليست له الميكانيزمات المناسبة التي تستطيع أن تمنحه الدافعية الاجتماعية بل إنها تدفع بها خارج الاهتمامات الاجتماعية الضرورية وذات الأولوية والأسبقية الملحة.

الجدول رقم 05 : مدى حدوث تغير إيجابي في الحياة الاجتماعية بعد الانتساب إلى الطريقة الصوفية.

مدى التغير	العدد	النسب
تغير إيجابي شامل	40	40%
تغير إيجابي بسيط	40	40%
لا تغير	20	20%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بمدى حدوث تغير إيجابي شامل في الحياة الاجتماعية بعد الانتساب إلى الطريقة الصوفية أن أغلب أفراد العينة يؤكدون حدوث تغير إيجابي شامل وحدث تغير إيجابي نسبي وبنسبة 40% لكل واحد منهما، في حين نجد أن 20% منهم يؤكدون عدم وجود أي تغيير يذكر.

وعليه نستنتج من خلال هذا الجدول أن الممارسة الصوفية التي يمارسها منتسبو الطريقة الصوفية العلوية ذات جدوى اجتماعية واسعة ومؤثرة بشكل ملحوظ على مسار حياتهم الأسرية والاجتماعية، متجاوزين في ذلك التصور القائل أن التصوف مجرد نشاط فردي ذاتي غير مؤسس وخالي من كل المقاصد الاجتماعية التي تنعكس تأثيراتها إيجابيا على الحياة الاجتماعية على الأقل لدى المحترفين بالتجربة الصوفية الجزائرية، فالتردد على مقر الطريقة الصوفية وإن كان يستند إلى خلفية فردية ذاتية تتمظهر في العلاج أو التبرك و جلب الراحة النفسية أو تحقيق بعض المصالح دون العناية بالترتيبات السلوكية التي تتضمن إحداث تغيير

حقيقي في الحياة الأسرية، إلا أن التلقي من الشيخ و محاكاة المربين و تلقي العلم الشرعي و المواظ على تعيد بناء السلوك الاجتماعي للمريد الصوفي و تجعله أكثر قدرة على التكيف و التسامح و حسن التعامل و الصبر على الذي فتكون النتيجة في النهاية ملاحظة تغيرات إيجابية على الحياة الاجتماعية.

الجدول رقم 06 : تصور أفراد العينة لمدى عرقلة قيمتي الصمت و العزلة الصوفيتين لعملية التواصل الاجتماعي.

العرقلة	العدد	النسب
نعم	59	59%
لا	26	26%
في بعض الحالات	15	15%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا أن أغلب أفراد العينة وبنسبة 59 % تتصور أن قيمة الصمت والعزلة الصوفيتين تعيقان حقيقة وفعلية عملية التواصل الاجتماعي، ويلبها في المرتبة الثانية لا وجود لأي علاقة وبنسبة 26 %، وأخيرا وجود إعاقة نسبية وبنسبة 15%. وعليه نستنتج من خلال معطيات هذا الجدول أن منتسبي الطريقة الصوفية العلوية يتحفظون من قيمتي الصمت والعزلة الصوفيتين ذلك أنهم يتصور بأنهما يتناقضان مع طبيعة الحياة الاجتماعية القائمة على شبكة متكاملة من الاتصالات اللغوية والجسدية والتفاعلات النفسية والعاطفية والقيمية، فالصمت والعزلة يهددان بنية المجتمع بالتفكك والزوال والانهاء، بحيث يتحول المجتمع بمكوناته من بنية واحدة متكاملة و متواصلة باستمرار إلى بنيات أو عوالم صغيرة مجزأة ومتباينة وغير متجانسة ومعزولة عن بعضها البعض فيغيب بذلك التفاهم والتواصل والتضامن خاصة وأن الإنسان من الأنواع التي لا يمكن أن يتم لها الضروري من العيش والاستمرارية في الوجود إلا بالاجتماع وبكل حيثياته الاتصالية والتبادلية والحوارية، غير أننا نستطيع أن نفتح قوسا في هذا المقام لإعادة تفصيل قيمتي الصمت والعزلة الصوفيتين من حيث أنهما لا تعنيان عند الصوفية الانعزال الكلي عن الواقع ورفض الاتصال والكلام والتفاعل مع الآخر حتى وإن لم يكن صوفيا ينتمي إلى نفس التجربة ويحمل نفس القناعات وإنما يحملان مفهوما آخر بحيث يتخذهما الصوفي كمحطة لتنقية النفس من شوائبها و إعادة تحليلتها بمزيد من القيم الروحية والأخلاقية التي تعين صاحبها أكثر على العمل والعبادة وحسن التواصل والتعامل مع الغير.

الجدول رقم 07 : العراقيل التي تعيق انتشار التصوف في المجتمع.

العراقيل	العدد	النسبة
مثالية القيم الصوفية	10	10%
مخالفتها لطبيعة الحياة الاجتماعية	05	05%

40%	40	صعوبة الواقع الاجتماعي
35%	35	تشويه التصوف
10%	10	انعزال الطرق الصوفية
100%	100	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بأهم العراقيل التي تعيق انتشار الصوفية في المجتمع أن صعوبة الواقع الاجتماعي يشكل أهم عائق بنسبة 40%، و يليه في المرتبة الثانية التشويه الذي تعرض له التصوف و بنسبة 35%، ويليهما في المرتبة الثالثة مثالية القيم الصوفية وانعزال الطرق الصوفية و بنسبة 10% لكل منهما، ويليه في المرتبة الرابعة والأخيرة مخالفة القيم الصوفية لطبيعة الحياة الاجتماعية و بنسبة 05% وعليه نستنتج من خلال معطيات هذا الجدول أن منتسبي الطريقة الصوفية العلوية خاصة يتصورون بأن عدم قدرة التصوف على الانتشار اجتماعيا تعود لذات وطبيعة وجوهر المجتمع وليس لطبيعة وجوهر التصوف، فالمشكل مطروح على المستوى التقلبات الاجتماعية و مزاجية عملية التغير الاجتماعي التي تتوجه في الغالب نحو المادية و الشينية وتنامي ثقافة الاستهلاك بعيد عن تجليات القيم الروحية التي كثيرا ما يهملها التغير الاجتماعي، و بهذا المعنى فإن التصوف يخلي سبيله من أي مسؤولية تجاه المجتمع على اعتبار ان هذا الأخير هو الذي لا يتجاوب مع التجربة الصوفية الجزائرية، و هذا النمط من التصور بطبيعة الحال لا يساعد التصوف على الانتشار من جهة و يعرقله من التجاوب مع حاجيات المجتمع من جهة أخرى و يظهره كتجربة روحية نخبوية متعالية عن المجتمع و لا تضع نفسها في خدمته **الجدول رقم 08 :** تصور أفراد العينة لإمكانية تحول القيم الصوفية إلى مشروع اجتماعي متكامل ينظم الحياة الاجتماعية.

قابلية التحول	العدد	النسب
لا	49	49%
نعم	51	51%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول الذي بين أيدينا والمتعلق بتصوير منتسبي الطريقة الصوفية العلوية لإمكانية تحول القيم الصوفية إلى مشروع اجتماعي ينظم الحياة الاجتماعية أن أغلبية طفيفة تعتقد بقدرة القيم الصوفية في التحول إلى مشروع اجتماعي متكامل ينظم الحياة الأسرية و بنسبة 51%، ثم يليها في المرتبة الثانية والأخيرة الذين يتصورون عدم إمكانية حدوث ذلك و بنسبة 49%.

ومن خلال معطيات هذا الجدول نستنتج أن الطريقة الصوفية العلوية تبدي استعدادات ملحوظة للتعامل الاجتماعي الإيجابي من التأكيد على قدرة التصوف في خدمة المجتمع والمساهمة في تنميته و تطويره و تزويده خاصة بالآليات التربوية التي ترتقي به روحيا وأخلاقيا واجتماعيا، غير أن هذا التصور تواجهه تحديات حقيقية من داخل التصوف نفسه وذلك بسبب وجود نسبة مرتفعة مازالت تتصور ان التصوف إنما هو تجربة روحية صرفة ينبغي لها أن تحافظ على خصوصيتها الروحية لأنها سر بقائها وديمومتها وكأنها تنفي وجود أي تقاطعات بينها وبين المجتمع من خلال اعتبار أن مجال التأثير لدى القيم الصوفية لا يتجاوز المتصوفة أنفسهم وفي جوانب ضيقة تتمثل في الجانب الروحي والإيماني أساسا، وعليه لا يمتلك التصوف القدرة على خدمة المجتمع الذي يختلف عن المؤسسة الصوفية كليا، ويبدو أن منتسبي الطريقة العلوية لا يمتلكون رؤية شمولية وعميقة عن حقيقة التجربة الصوفية و التي كانت على الدوام وفي مختلف المناسبات التاريخية لصيقة بالمجتمع و غير منفصلة عنه كليا، بحيث و ضع التصوف نفسه في خدمة المجتمع تربويا وماديا وتضامنيا وحتى سياسيا، واستطاع أن يغطي الكثير من حاجيات المجتمع المختلفة، كما أنه ساهم في رسم الخصوصية الثقافية و الحضارية للمجتمع الجزائري.

5- الخاتمة والإستنتاج العام

من خلال عينة المعطيات الميدانية السابقة الذكر ننتهي إلى القول بأن الطريقة الصوفية العلوية و على الرغم من نشاطاتها الاجتماعية المعروفة إلا أنها مازالت تمارس تربية صوفية تقليدية تنظر للحياة الاجتماعية بتحفظ، بحيث يغلب على منتسبي الطريقة الطابع الصوفي الروحاني المنعزل عن مظاهر الحياة الاجتماعية اليومية إذ أن أغلب أفراد العينة يتصورون أن التصوف حياة روحية محضة كما أن القيم الصوفية الاجتماعية هي أقل القيم الصوفية معرفة لدى منتسبي الطريقة، و ما يؤكد هذا التوجه أيضا أن الأغلبية تتصور أن العزلة كأهم مظهر صوفي تعيق كثيرا عملية التواصل الاجتماعي، كما ان الأغلبية ترجع عدم قدرة القيم الصوفية على الانتشار اجتماعيا إلى الواقع الاجتماعي في حالة من تنزيه الذات و لوم الآخر، مما يعني أن الطريقة الصوفية العلوية تواجه تحديات على مستوى مرجعيتها الفكرية ومنظومتها التصورية حتى تتمكن من الانخراط التام في الحياة الاجتماعية بعيدا عن المساهمات التقليدية المتعلقة بمساعدة المحتاجين و الفقراء و عابري السبيل التي دأبت مختلف الطرق الصوفية الجزائرية ممارستها باستمرار، فخدمة المجتمع تقتضي الانخراط في مختلف مفاصل الحياة الاجتماعية وبناء مشاريع تنموية حقيقية ذات طابع ثقافي وتربوي واقتصادي واجتماعي تتميز بالديمومة و الشمولية والاستشراف المستقبلي و ليس مجرد مساعدات بسيطة تقوم بها حتى الجمعيات الخيرية الصغيرة، الأمر الذي يتطلب بذل جهد تربوي داخلي و تجديد في الفكر والمناهج .

6- قائمة المراجع

- الكتب:

— إبراهيم ابراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف، القاهرة، دار الإسراء للنشر والتوزيع، 2005.

-
- الحارث بن حسن المحاسبي، رسالة المسترشدين، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، دون تاريخ النشر
 - خالد بن تونس، التصوف قلب الإسلام، بيروت، دار الجبل، ط1، 2005.
 - عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، دون تاريخ النشر .
 - عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، مستغانم الجزائر، المطبعة العلوية، بدون تاريخ النشر.
 - محمد جعفر الكنابي، السفر الصوفي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005.
 - الملتقيات:
 - خالد بن تونس، رسالة إلى ملتقى الذكرى الخمسين لوفاة الشيخ عدة بن تونس المنعقد بتاريخ 30 - 31 أكتوبر عام 2002، بدار الثقافة لمدينة مستغانم، غير منشورة.